معرفة الحقيقة والتقليد فيها

معرفة الحقيقة والتقليد فيها

منظمة الاعلام الاسلامي

قسم العلاقات الدولية

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net رابط بديل

الكراس : معرفة الحقيقـة و التقليد فيها
اصدار : قسم العلاقات الدولية ـ منظمة الاعلام الاسلامي
عدد النسخ : ١٠/٠٠٠
المطبعة : فجر الاسلام ـ طهران
التاريخ : ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ

چاپ شركت افست «سهامى عام»

مقدمة الناشر:

من المواضيع العقائدية الاولى يطرح هذا الكراس مسألتين:

الاولى: مسألة ضرورة البحث عن الحقيقة الكونية

الثانية: مسألة التقليد في هذا المجال

و هما مسألتان هامتان ـ ركزت النصوص الشريفة على توضيح الحال فيهما. و خصوصاً الثانية منهما. لأنها تشكل مرضاً حضارياً و منزلقاً خطيراً يبتعد بالانسانية عن خصائصها الاصلية. و يقعد بها عن الرقي و التكامل المطلوب.

هذا وقد طرحت المسألتان هنا بشكل موجز يتوخى بيان فطرية الجواب. وانهما انما كانتا نتيجة التشكيكات التى أثارها الكثيرون ممن ابتلوا بالكسل الفكري و الحضاري و ارادوا الخلاص من حمل آلهم الانساني العام.

و الله نسأل ان يوفق ابناء هذه الامة المسلمة لوعي سبيلها الى الكمال و نفي كل العقبات التي وضعت أمامها والله الموفق.

قسم العلاقات الدولية
لمنظمة الاعلام الاسلامي

معرفة الحقيقة الكونية

نود ان نتحدث ـ اولاً ـ عن موضوع هوفي نفسه واضح تمام الوضوح . و يكفى الالتفات البسيط اليه للحكم به.و قلنا (في نفسه واضح) لاننا نعيش في عصر اثيرت فيه الشبه الكثيرة حول ابسط المفاهيم و اوضحها بل حتى ضروريّها . و لذا احتاج الامر لان نتبين سبيل الرشاد بوعي كامل ، و بطلب موضوعى للحقيقة الناصعة . و لو ترك الامر للفطرة لآمنت بلا تساؤل.فلقد حبذ البعض من جنود الكسل ـ احيانا والمبشرين بالالحاد لمصلحة اواُخرى احيانا اخرى ـ حبذ هؤلاء هذا التساؤل واضعين اياه بصورة مقبولة معقولة كمايلى :

اولاً ـ لم البحث عن الحقيقة في الكون ؟

ثانياً ـ نحن نعلم مسبقاً بان البحث عنها يستلزم جهداً عقليا و فكريا ان لم يكن فى اصل وجود الله تعالى فليكن

في صفاته .

ثالثاً ـ ومع التسليم بما سبق فاننا نعلم بان الايمان هذا يستتبع ـ على ما يصطلح عليه ـ تكاليف يضطر الانسان لحمل عبئها على كاهله و الخروج من عهدة مقتضياتها فلم نفتح باب البحث حتى لانقع في مثل هذه النتائج .

و ملخص هذه الاسئلة يطوف حول (معرفة مقتضيات البحث عن الحقيقة الكونية) و في مجال الاجابة على مثل هذا السؤال تعرض عادة اجوبة وافية تنبه الفكر الى البواعث الحقيقية لهذا البحث المتواصل و لكن علينا ان نشير الى ملاحظات قبل الدخول في الاجابة :

١ـ اننا نجد البشرية في مختلف أدوارها و حتى في عصورها المنحطة فكريا و حضاريا تؤمن بوجوب المعرفة . و تعتبر الاعراض سخفاً و يمكن القول بوجود اجماع بشري على ذلك بدليل التسليم الفطرى من قبل البعض و التكذيب المعاند من البعض الآخر و محاولة الاستدلال على التكذيب و تدعيمه بدعوى كون الرسول بشرا أوكون اتباعه من الطبقة السفلى او بكونه يريد ان يفرق بينهم الى غير ذلك .

ان هذه المحاولات كلها تدل على التسليم الفطرى للمبدأ او الأول في العملية و هو (وجوب التصديق لو تمت البراهين)، و وجوب الاذعان لو ثبتت الحقيقة و قبل ذلك وجوب البحث عن ما يحقق التصديق.

و حتى الاقوام التي كانت تتخذ الطواطم و غيرها آلهة فانها لم تكن لتتساءل كذلك.

ان كل هذا يكشف عن ان وجوب المعرفة شيء نابع من ذات الانسان قبل كل شيء.

٢ـ ان الدوافع للمعرفة يمكن ان نصنفها الى قسمين:

دافع غريزى: ينبع من طبيعة تكوين الانسان و العالم المحيط به-و يفرض نفسه على الانسان بلاحاجة الى تبرير مصلحي معين للانسان.و ذلك من مثل اندفاع الانسان ذاتاً للكشف عن سر هذا التناسق الكوني العجيب و استجلاء معالمه بغض النظر عما يدره عليه هذا الاستجلاء من منافع حياتية كما سيأتي.

و دافع مصلحي: ينظر فيه الانسان الى المعرفة نظرة فيها كثير من الدوافع الذاتية التي تثور لديه نتيجة كونه

انسانا يسعى لتنظيم مسيرة متصاعدة نحو السعادة التي ينشدها ايضا بصورة فطرية.

و ذلك من امثال احتياجه في نظامه الى قاعدة فلسفية تحدد له موضعه و منطلقه.

الدوافع نحو المعرفة

١- ليس الانسان متميزاً عن الحيوانات الاخرى بانه يجب أن ينضم الى فصيلة ليحصل معها على العيش الرغيد، كما و انه ليس متميزاً بقدرته الجسمية. و انما الذى يجعله يعيش في القمة من الكائنات هوطاقته الفكرية التي تتجاوز به حدود ما يحس به، لتجعله يعلو على واقعه الحسي و ينظر اليه من عَلٍ محاولا تغييره الى الافضل. و من المعلوم انه لن يستطيع ان يقوم بأية خطوة توصف بانها بناءة ما لم يعرف موقعه هو، و مقدار مايملك من طاقة، وماهية ما يستند اليه في عملية البناء هذه، و امكان التغيير المقترح. كل ذلك ضرورى قبل دخوله الى المعترك. و من هنا نجده مزوداً بهذا الدافع الاصيل نحو ارتياد المجهول و الذى اطلق عليه غريزة الاستطلاع.

ان هذا الدافع يدفعه ليحدد مركزه من الكون اولا، و

يستكشف الحقائق التي تحكمه هو و الروابط المشتركة بينه و بين الكون. كل هذا بعد ان يعرف منابته الاولى و منطلق مسيرته، و تكون هذه المعلومات رصيده في سيره الآتي.اما الاغماض عن كل هذه التساؤلات، فيعنى - اول ما يعني - ان الانسان سيجد نفسه فريسة المجهول: فريسة الماضي المجهول، و المستقبل المجهول، و الحاضر المجهول، و يجد نفسه امام قوى طبيعية هائلة وقوى بشرية مائجة كلها تحاول اقتلاعه. هذا اذا فرضنا المجتمع بعيداًعن اصول المعرفة. و عندها ينطلق من مفهوم الصراع مع الجميع من جهة والمسالمة المؤقتةلعدم الطاقة و لتحين الفرص من جهة اخرى. و حينها يعود المجتمع مجتمعاحيوانياً كاسراً يصفه القرآن الكريم في قوله تعالى (و الذين كفروا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام) (محمد: ١٢)

و معنى ذلك ان الانسان حينما يتغاضى عن المعرفة فإنه منفصل عن اصوله الكونية و مصابيح هدايته فهو ايضا كما يصفه القرآن «و من يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير اوتهوي به الريح في مكان سحيق» (الحج: ٣١)

فالمعرفة ضرورية لانقاذ الانسان من الضياع في عالم المجهول.

٢ـ و لما كانت البشرية منذ تكون مجتمعها الاول تسعى الى نظام اصلح يقيم لها أودها و يوصلها الى سعادتها، فهى اذن محتاجة لان تحدد معالم هذا النظام على اسس منطقية واقعية. و ما لم تتأكد من الاسس فلن تستطيع وضع النظام ا ي نظام. و كم وجدنا اناسا اغمضوا عن جانب العقيدة و المعرفة و وضعوا نظما زعموا فيها انها لا ترتكز على مسبقات عقائدية و انها تتلائم مع كل المسبقات، و لكنهم و اجهوا اشكالا عاما في شكل النظام اولاً، و اسلوب التطبيق ثانيا، كما سيتوضح. و من هذه النظم الرأسمالية التي زعمت انها لا تحتاج في صياغتها الى عقيدة في حين انها بنت كثيرا من معالمها على اساس عقائدي مادي من حيث لا تشعر. و الحقيقة اننا لا يمكن ان نفصل المسألة الاجتماعية عن المسألة الواقعية الفلسفية:

بدليل ان الامر مختلف جدا في: مجتمع يؤمن بان هذا الكون (من صنع قوة مدبرة قائمة على تنظيمه) مهيمنة عالمة باسراره و خفاياه بظواهره و دقائقه قائمة على تنظيمه و توجيهه ... فمن الطبيعي ان يخضع في توجيهه و تكييف حياته مقدمة لحياة خالدة تنبثق عنها و تتلون بطابعها وتتوقف موازينها على مدى اعتدال الحياة الاولى و نزاهتها ... فمن الطبيعي ان تنظم الحياة الحاضرة بماهي بداية الشوط لحياة لافناءلها و تقام على اسس القيم المعنوية و المادية، و مجتمع لايرى كل ذلك ولا يعتقد به و ينطلق من اساس ان الانسان هو المشرع لهذه الحياة لاغير وان النظام يلحظ فيه السعادة المحدودة بها.

فالمعرفة ضرورية لتأمين قاعدة لنظام الحياة الاجتماعية.

٣ـ و قد رأى الانسان الملايين من العقلاء مؤمنين بالله و الحياة الاخرى و بالنظم التي تستتبعها هذه العقيدة. في حين يقف في قبالهم جمع يرفضون كل هذه العقائد. و قبل هذه يرى مجموعة ضخمة من كبار المصلحين ينادون للجانب الاول، و يعدون الدنيا بانها ستصل غاية سعادتها ان

سارت على المنهج المعد من قبل السماء،و يتوعدون العاصين و المتغافلين الذين انحرفوا عن جادة الحق معيشةً ضنكا في الحياة الدنيا (و من اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) و بعذاب شديد في الحياة الاخرى (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) وهم بالتالي يستشهدون العقول على اقوالهم، و يستنطقون الفطرة و يجلون الكون و ما فيه من عظمة امام البصائر.

كل هذا لابد ان يدفع الانسان الى الكون على بصيرة من الامر و دفع مضاعفات الموقف السلبي ، ولا يمكن التغابي عن الجميع.

فشيء طبيعي ان الطائرة التي تقصد مكانا معينا لابد و ان تكون قد سألت عن الجو و المطار و عقبات الطريق الى غير ذلك. ولا يمكنها التغابي عن كل ذلك و ترك الحبل على الغارب فتكون بالتالي عرضة للومها هي لنفسها فضلا عن الناس. و هذا لايقاس الى ما يعدنا الانبياء به من ثواب عظيم و قبل كل ذلك الى عظم الحقيقة المكتشفة و مدى تأثيرها. فالمعرفة ضرورية لاجل التخلص من عواقب

التغابي.

٤ـ على اننا يجب ان لاننسى ان المعرفة تفرضها غريزة أصيلة في الانسان تظل تلح على الانسان و تدفعه نحو الحقيقة.

و يمكننا ان نؤكد هذه الحقيقة عندما نلاحظ ان كل الامم سعت الى الله. و ان كل العقول لن تجد مأمنها إلا اذا وصلت الى الله و إلا بقيت متلهفة.

فكل ما يبدو لنا من تدين ساذج احيانا و معقد احيانا اخرى منزه و مشوب، إلهي و وثني و مشرك، كل ذلك كلما تكثّر اوجد الا طمئنان بأن دافع التدين اصيل في النفس الانسانية. و هذا القول يسنده حكم العقل الدقيق بضرورة وجود واجب الوجود. اما ما نلاحظه من تساؤلات فانما هي غشاوات سرعان ما تتقشع ان تهيأت لها اسباب التقشع و حينها تظهر الفطرة الخالية النقية معلنة وجوده تعالى.

فالمعرفة ضرورة فطرية و عقلية

٥ـ و عند ما يسرح الانسان بنظره في كتاب الكون الضخم و يلاحظ الترابط الوثيق بين كل اجزائه و ذراته و القوانين المحكمة الصارمة التي تحكمه و ما يتكشف للعقول آناً بعد آن من بدائع الصنع ...

ان هذا الترابط المحكم يدفع الانسان لذاته ـ و بغض النظر عن كل الاشياء الاخرى ـ الى البحث عن سره الهائل و الحقيقة الكامنة وراءه (بيد ان تلك الحقيقة المجردة، لا تتفتح اصدافها عن معانيها تماماً إلا لكل ذي قلب ذكي، و منطق سليم و نظرة خالصة الى الوجود لا تشو بها نزوة من جمود لان المخاطب بتلك اللغة انما هي السرائر الانسانية و الضمائر الحية) [١].

(١) محمود ابوالفيض ـ كتاب التوحيد و الولاية ـ لمغنية.

فالمعرفة ضرورة كونية تحرك الفطرة نحو الحقيقة

٦ـ اذا توجه الانسان الى نفسه وجدها عالماً قائماً لوحده يعج بالعجائب و الغرائب ـ فيه امور تمشي وفق مخطط لها و دون ان يشعر، واجهزة دقيقة عجزت العلوم الحديثة مع ضخامتها عن اكتشاف الملايين من اسرارها و التى وضعت يداً بيد ليعيش الانسان هائناً سعيداً بهذه الرحمة التي غمرته، و يقوم بأداء حق النعمة شاكراً واهبها أيّاً كان هذا الواهب. **فالمعرفة اذن ضرورة يفرضها الضمير لاداء حق المنعم بشكره.**

ملاحظة (١) وردت هذه العبارة في الكتب العقائدية و هي: (ان النظر في معرفة الله واجب باتفاق المسلمين)

و في مجال تعليقنا عليها نقول:

ان كان المقصود بالمعرفة (المعرفة الدقيقة بذات الله وصفاته كلها) فهذا مستحيل بالنسبة الى الذات إذ كيف

تدرك عقولنا كنه الذات الالهية الكاملةغير المتناهية ؟ وغير اجماعي بالنسبة للصفات كلها، وان كان المقصود مابحثنا حوله من وجوب معرفة الحقيقة الكونية الهائلة المحركة له و معـــرفة صفاتها الواضحة فهذا ما لا يختلف فيه الناس جميعا «فضلا» عن المسلمين طبعا باستثناء هؤلاء المشككين في الضروريات ثم ان الوجوب هنا وجوب عقلي و ضرورة فطريّة و ليس شرعياً لان المفروض فيه انه مقدمة للشرع و هو الخطوة الاولى لباقي العقائد فلا معنى لادخال كلمة (المسلمين) و اجماعهم في الموضوع . و ربما كان المقصود ان المسلمين اجمعوا على لزوم الاستدلال للوصول الى الله و هو صحيح .

ملاحظة ثانية: بعض علماء الكلام في هذا الصدد برهن على الوجوب بعبارة (العلم بالشيء خير من الجهل به) و نلاحظ عليهم مايلي: -

١- ان هذا لايصح جواباً عن التشكيكات القائلة بأنا نحتمل ان ينتج هذا العلم تكاليف و طقوساً نحن في غنى عنها .

٢- العبارة لا توجب على الانسان المعرفة وانما تحبذها له فقط و هذا شيء خطير في مجال العقيدة الشاملة. اذ يبقى المجال مفتوحاً لعدم السير فيها، فالعبارة تحتاج الى ضميمة ترتفع بها الى مستوى الالزام و هذه الضميمة في الحقيقة هي الدليل على ضرورة المعرفة.

التقليد فى العقيدة

العقيدة:تعني ما ينعقد في النفس فتطمئن اليه من أفكار و مواقف عن الكون.
و ما نركز عليه هو تحديد ما يرتبط بمبدأ هذا العالم و منتهاه و ما بين المبدأ و المنتهى مع التركيز على المسيرة الانسانية في هذه الأطر.

والهدف من البحث:

هو تحديد موقفنا من الكون و معرفة التبعات التي تلقيها علينا هذه المعرفة .

و يعتبر التساؤل عن موضوع هذا البحث اهم تساؤل على الاطلاق في حياة الانسان ... و لا يمكنه ان يكون منطقياً مع نفسه فى كل خطواته الحياتية إلا اذا أجاب على هذا السؤال اجابة تنعقد في نفسه بشكل اساس. فعلينا ان نسير

في هذه السبيل معتمدين على توجيهات و ارشادات القرآن الكريم و السنة فهي تشكل مؤشرات عظيمة للمسيرة الصحيحة نحو معرفة متكاملة.

ـ التقليد في العقيدة ـ

تكاد صفة التقليد تشكل جزءاً من قدرات الانسان التي زود بها ليستطيع ان يتنامى خلال مسيرته الحياتية.

و لهذا التقليد مجالان:

المجال العملي : كأن يتبع انسان رأى خبير في كيفية بناءٍ، أوأي سلوك عملي آخر... و مثل هذا التقليد امر طبيعي اذا تم في حدوده المعقولة و بعد تشخيص واع لقدرة مصدر الرأى المقلد على التشخيص الأقوى لنوعية هذا السلوك.

و المجال العقائدى: و هو المجال الذى يعتبر التقليد فيه امراً غير مقبول بعد أن توفرت للانسان طاقة فكرية يمكنها ان تجعل بنفسها مقياساً لنوعية تحديد الموقف من الكون.

و لا يمكننا أن نتصور واقعياً يصدق مع ذاته وهو يجيز

التقليد في المجال العقائدى ... لانه على الأقل سيبتلى بمايلي :

١ـ الدعوة للجمود العقائدى و الاستهانة با لقدرات التشخيصية التي منحها الانسان ... فيخرج بالتالي عن كونه مبدءاً انسانياً ايجابياً .

٢ـ سيفقد اتباعه (هو) الايمان الفكرى به ... و با لتالي يفقد هذا المبدأ طاقة الصمود امام الاهواء .

٣ـ سيفتح المجال لرفضه (هو) بحجة التقليد .

فالتقليد أمر مرفوض بشكل مبدئي .

و عند ما نحاول الاستهداء برأي القرآن الكريم نجد انه يحاربه حرباً لا هوادة فيها ... و يحاول علاجه بشتى الأساليب والطرق،فهو يشدد على ان يرمي الانسان ببصره في كتاب الكون الوسيع باحثاً عن الحقيقة متبعاً غريزة حب الاطلاع عنده با لوصول الى الواقع و لذا كان الذين كفروا ـ و هم اشد الناس بعداً عن الحقيقة في نظره ـ كالحيوانات فهم ((يتمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام)) .

و هم ((صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون)) لأنهم لم يستفيدوا

من طاقتهم الفكرية المحددة ((أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها))((افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)).

و يتكرر في القرآن الكريم كثيراً أمثال هذه العبارات ((افلا تعقلون)) ((افلا تبصرون)) ((ام على قلوب أقفالها)).

و الاسلام عند ما يدعو الى التفكير في العقيدة و ينعى على المقلدين سلوكهم و فكرهم يعبر بذلك عن مايلي :

الاول: الاِطمئنان بان أقل تفكير موضوعي جاد يمكنه ان يوصل الانسان الى الحقائق الاساسية او قل الى الاسلام في اسسه و يمنح النفس الطمأنينة و الايمان بالاسلام.

انه في الحقيقة كعارض جوهرة ثمينة يطلب من الناس ان يبحثوا عنها و هو متأكد من انهم في النهاية سيصلون الى قيمتها الحقيقية.

الثاني: ان العقيدة امر له مساره الطبيعي الى النفس و اطمئنانها و لا يمكن اجبار الانسان على ان يعتقد واقعاً ... و بدون ذلك فلن يتوقع قيام الانسان بمهامه الكبرى المنوطة به.

و هكذالم يجبر الاسلام الناس الذين انضووا تحت حكمه على اعتناق مبدئه بالقوة.و ان كان يفتح لهم سبيل الاعتقاد بتحبيذه عقائده لهم و وعدهم بالجزاءالاخروى العظيم و تحذير هم من العقاب الاليم في الآخرة بعد ان يؤكد لهم صلاحيته ، و يعرض عليهم قوانينه الموافقة للفطرة الانسانية بصورة تامة ... الى ما هنالك من وسائل التحبيذ إلا انه لم يكن ليجبر احداً بل يكتفى من الانسان بحد عقائدي ادنى يثبت فيه انسانيته و صلاحيته للحياة كانسان على وجه الأرض.و ذلك الحد هو الاعتقاد بالله تعالى و الانضواءتحت لواءسماوى عام ايأكان ذلك اللواء ... و هذا الموقف من الاسلام صريح و واضح واقعى بعد ان كان معنى العقيدة (ما تنعقد عليه النفس) و لن تركن النفس الى شيء لم ينفذ اليها با لطريق الطبيعي ... وعلى هذا عاش النصارى و اليهود في كنف الدولة الاسلامية بعد أن قبلوا نظامها . و ارتفع هذا الشعار ((لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) .

مبررات التقليد وعلاجها:

و الظاهر ان للتقليد مبررات شخصية و نوعية كثيرة و اهم المبررات النوعية هو:

١- ميل الانسان الذى يحيا حياة بدائية و يألف شكلاً اجتماعيا معيناً لأن يبقى على مثل هذا الوضع دون تغيير حتى و لو كان ذلك التغيير مما يفرضه المنطق.

و يمكن ان يعبر عن هذه الحالة بضعف الشخصية المفرط عند الانسان با لشكل الذى لا يمكنه ان يغير وضعه لاحتياج ذلك الى تحديد موقف هو أعجز ما يكون عنه. لانه يعيش ميوعة فكرية لا توفر له ما يلزمه من الجرأة في هذا المجال، لهذا فهو يعمد الى طبخات فكرية جاهزة لا تتطلب منه ذلك العناء الفكرى الكبير فيركن اليها مقلدا ... ومن مصاديق هذه الحالة ما يمر به قطاع كبير من امتنا اليوم حيث كانت نتائج التأثيرات الكافرة في تحليل شخصيتها و تمييعها بمختلف الاساليب و السبل أن خلقت في نفسها عقدة حقارة مقيتة فهي تجد نفسها في كل موقف اضعف من

ان تحددلها مركزاً فكرياً او منطقاً مستقلاً لذا فهي تعيش في دوامة التبعية-و تقدس اولئک الذين تغرب عند هم الشمس لا لشيءالا لأنهم تقدموا و حدّدوا وهي لا تملک الشخصية المحددة.

و هذه الحالة كما هو واضح لا تعبر عن طفولة انسانية بدائية فحسب بل هي حالة مرضية تصاب بها المجتمعات حتى و هي تتصور نفسها ترقى سلم التكامل، و تعرج في مسالک الثقافة.

اما التربية القرآنية فقد استهدفت في كثير من توجيهاتها الفكرية و ارشاداتها العملية و تشريعاتها ان تقوي في الانسان معالم الشخصية الانسانية في حدود ذاتها .. و اول معالمها التعقل و التفكر الواثق المستقل و الذى يتحول الى ارادة فاعلة قوية.

و من الاساليب الاسلامية في هذا السبيل:

أ- تقديم النماذج العملية و التنبيه على لزوم الاهتداء بهديها و التركيز على مواطن التحدي فى سلوک النبي (ص).

ب- تقديم نماذج ارادية و اعية من حياة الانبياء و المؤمنين عبر

التاريخ.و ذلك كحكاية امرأة فرعون ((ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة و نجّني من فرعون و عمله)) و حكاية السحرة اذ غيروا بمجرد معرفتهم الحقيقة و وقفوا أمام الارهاب الفرعوني الطاغي و قالوا بصمود((فاقضِ ماانت قاضٍ انما تقضي هذه الحياة الدنيا)) و حكاية مؤمن يٰس إذيصرح امام الكفرة ((اني آمنت بربكم فاسمعون)).

ج ـ تربية الارادة الواعية عبر العبادات كالصوم و الحج.

د ـ التركيز المباشر على التعقل و امتلاك السيطرة على افعال الذات و المحاسبة و ذلك في نصوص كثيرة.

وعند ما ينتهي الاسلام من تنمية الطاقة المغيرة في الانسان يبدأبخلق دواعي التغيير بتعريف الانسان بهدفه التكاملي السامي.و ان هذا الهدف لا يتحقق إلاضمن مسيرة هداية سماوية تنبع من محيط عالم رحيم بالانسان و بعد عملية تحديدالموقف هذه تأتي عملية الاشعار بالفرق بين حياة الهدى و حياة الضلال و خصائص كل من الحياتين .... الى ما هنالك من اساليب تربوية لايضارع الاسلام

فيها اى مذهب تربوى آخر.

الثانى: الانشداد العاطفي

فقد يكون هذا الانشداد قوياً جداً ينسيهم انسانيتهم الفاعلة او يصور لهم ان السير على طريقة الآباء هو نوع من الوفاء لهم ... وقد كان هذا العنصر مبرراً قوياً لدى المترفين كي يغروا به الضعفاء السذّج و يمنعوهم عن اتباع رسالة الانبياء الانقلابية.

((إذ قال لأبيه و قومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون؟ قالوا و جدنا آباءنا لها عابدين)).

(الانبياء ٥٢-٥٣).

((انتنها نا ان نعبد ما يعبد آباؤنا)) هود: ٦٢

((ما هذا إلآرجل يريد أن يصد كم عما كان يعبد آباؤكم)). سبأ: ٤٣

((و كذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاقال مترفوها انّا و جدنا آباءنا على امةٍ و انّا على آثارهم مقتدون)). الزخرف: ٢٣

و من الواضح ان هذه الحالة تعبر ايضا عن طفولة فكرية و

ان العلاج السابق له أثره الكبير في مجال نفي مفعول هذه الحالة ... هذا و قد اتبع الاسلام اساليب اراد بها كسر تأثيرها في نفوس معارضيه أولاً و تخليص اتباعه (هو) أنفسهم من الوقوع في اسارها.

((و اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله. قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً و لا يهتدون ؟)) (البقرة ١٧٠).

و الجواب الطبيعي على هذا التساؤل هو: اننا لو علمنا انهم لايعقلون و لا يهتدون لم نقلد هم. و حينذاك تكون قد فتحت كوة الهداية التي تؤكد لهؤلاء ان عليهم ان يدرسوا عقيدة آبائهم و سلوكهم ليعرفوا انهم يعقلون و يهتدون ام لا.

و من هذا القبيل كل الآيات المحذرة من الابتلاء بمصير من قلدوا على غير هدىً فابتلوا بالعذاب و منها الآيات التي تتحدث عن ما يبتلى به الانسان يوم القيامة بحيث يجعله يفر من ابيه و صاحبته و بنيه. فان لهذه الآيات ايحاءها لان يعيد الانسان النظر في العلاقات

العاطفية و عندها تنفتح كوة الهداية .

اما بالنسبة لاتباعه فان المجال لا يتسع للحديث عن البرنامج الاسلامي لبناء العاطفة على اسس عقائدية متينة .

الثالث: الترف

فالمترفون - بالاضافة لما سبق - يمتلكون حافزاً قوياً لابقاء الوضع السابق ، و تركيز انحراف الجماهير عن خط الهداية ، باعتبارأن اتباعها لمثل هذا الخط معناه التحطيم الكامل لكل ما بناه المترفون من ظلم و استغلال ... و حينذاك فهم سبب البلاء و الهلاك ...

هذا بالاضافة الى دور الترف نفسه في تمييع الشخصية وفقدانها المقدرة على تحمل اعباء التغيير. و قد يكون الترف سبباً للطغيان ايضاً .

((و اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول)) . ((واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه و كانوا مجرمين)) ((ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى)) .

و هنا بيّن القرآن للناس ان المترفين هم سبب انحطاط

المجتمعات لفسقهم و عتوهم و اشعرهم بالاهداف الخبيثة وراء تبني المترفين دعوة التقليد للآباء..مما خلق في الآخرين الدافع لتقييم أنفسهم من جديد بعيداً عن الإغراء.

كما ان القرآن هدّد المترفين أنفسهم من جديد.

هذا في حين منع الترف المفرط في اتباعه من جهة و رباهم على الخشونة و الزهد عبر تعاليم تربوية و اعية كالصوم من جهة اخرى.

الرابع: التأثيرات الجمعية

فرغم ان(دوركهايم)قد افرط كثيراً حينما ذوّب روح الانسان في الروح الاجتماعية و جعله يردد ما يمليه العقل الجمعي عليه دائماً،إلا ان الواقع هو ان للعقل الجمعي هذا بعض التأثيرعلى العقل الفردى احياناً. و قد يتصاعد هذا التأثير حتى يبلغ حداً عبّرعنه نوح (ع) بقوله ((ولن يلدوا إلا فاجراً كفاراً)) ... و تبدو هذه الظاهرة عند ما يتغلب تيار اجتماعي معين على الجماهير فيحاول استغلال العواطف لتقرير فكرة ما.و حينذاك ينطلق النداء و تعقبه الجماهير

بالترديد و حينذاك فلن ينفع في قبالها فكرأو منطق و برهان و انما هي العاصفة الجارفة.

و هنا نجد القرآن يعالج هذه الظاهرة باعادة الانسان الى ذاته من غربته الوهمية، و ارجاع صفة الاستقلال الفكرى الى نفسه عن طريق تخليصه من اسار العقل الجمعي بالتفكير الهادئ المنعزل و ذلك كما يبدو لنا من خلال الآية القرآنية الكريمة ((قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا للّه مثنىً و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو إلا نذير لكم)).

و اذا عاد هؤلاء الى القيام مثنى و فرادى عاد اليهم وعيهم المستقل بالتدريج و عرفوا ان تهمة الجنون التي اطلقوها على الرسول الاكرم (ص) أو هى من ان تخطر على بال بعد ذلك التاريخ المجيد و بعد ملاحظة تعاليمه المجيدة و اقواله القيمة و قرآنه العظيم.

و هكذا رأينا بايجاز ذكر القرآن لاهم جذور التقليد في العقيدة و علاجه لها و هنا تجدر الإشارة لبعض الملاحظات:

الملاحظة الاولى:

انه يجب التفريق بين الإجبار العقائدى و بين الإخضاع التنظيمي.فالإسلام بحكم طبيعة كونه ديناً للبشرية جمعاء يريد ان يتملك زمام الامور و يقودها الى السعادة ... و لذلك فهو يطلب من البشرية ان تنضوي تحت لواء سلطته .. فان انضوت كان هذا هو المطلوب، و إلا توسل بكل الوسائل الشريفة لإدخالها الى السلطة الاسلامية و هذا ملاحظ في الآيات التالية:

((هو الذى ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله)).

((و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله)).

((تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)).

((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)).

و كل هذا تفرضه واقعية الاسلام بحكم كونه يريد ان يقود

البشرية ابداً و تحت نظام تربوي خاص ... هذا من حيث القيادة التنظيمية.اما من الجانب العقائدى فهو يعمل بكل ما يستطيع على تنبيه الفطر الغافية، و يستخدم كل اساليب البرهنة و الاستدلال للنفوذ الى عمق الانسان و خلق الاطمئنان الكامل به و برسالته الحنيفة إلا انه انطلاقاً من واقعيته ايضاً ـ لم يجبر الناس الذين هم تحت حكمه على اعتناق مبدئه بالخصوص رغم انه يفتح لهم سبل معرفته و الدخول فيه و يعدهم جزاءً عظيماً في الآخرة ان ثوابا اوعقابا ... إلا انه لم يجبرهم و اكتفى من الانسان بأدنى حدٍ يثبت فيه انسانيته و عدم عناده و هو الايمان بالله و الانضواءتحت لواء سماوى عام ـ كمامر ـ

الملاحظة الثانية:

ان الاسلام حينما يدعو للاعتماد على العقل و الاستدلال فانه يقسم مرحلة الايمان الى قسمين:

أ ـ مرحلة الدليل و فيها يكون الحاكم الاول و الاخير هو

المنطق و الموضوعيـة و الجدية التامة .

ب ـ مرحلة تقبل نتائج الدليل : فبعد ان يكون الدليل قد قـام عـلـى فـكـرة مـا فـان الـنفس تستعد لتقبل النتائج.و هنا يـطـلـب الاسلام منها ان تستقبل النتائج بعقلها و عواطفها و احـاسيسها لينغرس الايمان في اعماقها فيتحول شعورها الى شعـور مـؤمـن كـمـا اصبح عقلها موحداً من قبل ... و هكذا يـتـلاءم الـخـشـوع الـعـاطفي مع الايمان العقلي يقول تعالى ((اَلَـمْ يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل مـن الـحق ولا يـكـونـوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم)). الحديد: ١٦

الملاحظة الثالثة:

ان التقليد المنهي عنه هو التقليد الأعمى بلاريب لا ما يـمـتـلـك صورة التقليد مع انه ليس تقليداً في الواقع كأن يتبع الانـسـان انـسـانـاً آخـر قـد اقام هو ((اى المقلِّد ـ بالكسر)) الـدلـيـل عـلـى صـحـة آراء الـمقلَد ـ بالفتح . و ذلك من قبيل بـعـض الاشـيـاء و الـعقائد التي يخبرنا بها (ص) فالدليل على

صدقه (ص) و تعبير كلامه عن الواقع دون خطأ لعصمته دليل على صحةما ينبئ عنه من واقع و على هذا الاساس جاءت الآية القرآنية لتقول: ((و اتبعت ملة آبائي ابراهيم و اسحق و يعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ)).

(يوسف: ٣٨)

مركز اعلام الذكرى الرابعة لانتصار
الثورة الاسلامية في ايران